

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومضات تفسيرية

ومضات تفسيرية

تأليف:

الشيخ عبدالجليل أحمد المكراني

فهرس العناوون

٩..... سورة الناس

٩..... إشارات تفسيرية

١١..... إضاءات تفسيرية

١٢..... سورة الفلق

١٢..... إشارات تفسيرية

١٤..... أسباب الحسد:

١٥..... إضاءات تفسيرية

١٦..... سورة الإخلاص

١٦..... إشارات تفسيرية

١٨..... إضاءات تفسيرية

٢٠..... سورة المسد

٢٠..... إشارات تفسيرية

٢٢..... إضاءات تفسيرية

سورة النصر ٢٣

٢٣..... إشارات تفسيرية

٢٣..... نصيحة وتنبية

٢٥..... إضاءات تفسيرية

سورة الكافرون ٢٧

٢٧..... إشارات تفسيرية

٢٨..... إضاءات تفسيرية

سورة الكوثر ٣٠

٣٠..... إشارات تفسيرية

٣١..... إضاءات تفسيرية

سورة الماعون ٣٣

٣٣..... إشارات تفسيرية

٣٥..... إضاءات تفسيرية

سورة قريش ٣٧

٣٧..... إشارات تفسيرية

٣٨..... إضاءات تفسيرية

سورة الفیل ٤١

٤١..... إشارات تفسیریة

٤٢..... إضاءات تفسیریة

سورة الهمزة ٤٣

٤٣..... إشارات تفسیریة

٤٥..... إضاءات تفسیریة

سورة العصر ٤٧

٤٧..... إشارات تفسیریة

٤٨..... إضاءات تفسیریة

سورة التكاثر ٥١

٥١..... إشارات تفسیریة

٥٣..... إضاءات تفسیریة

سورة القارعة ٥٥

٥٥..... إشارات تفسیریة

٥٧..... إضاءات تفسیریة

سورة العاديات ٥٩

٥٩..... إشارات تفسيرية

٦١..... إضاءات تفسيرية

سورة الزلزلة ٦٥

٦٥..... إشارات تفسيرية

٦٧..... إضاءات تفسيرية

سورة البيّنات ٦٩

٦٩..... إشارات تفسيرية

٧٢..... إضاءات تفسيرية

سورة القدر ٧٣

٧٣..... إشارات تفسيرية

٧٤..... إضاءات تفسيرية

سورة العلق ٧٩

٧٩..... إشارات تفسيرية

٨٢..... إضاءات تفسيرية

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجَنَّةِ
وَالنَّاسِ (٦)﴾

إشارات تفسيرية

في هذه السورة المباركة العديد من الملاحظات العلمية والمطالب التفسيرية،
نشير إليها باختصار:

- ١- وردت كلمة ﴿قل﴾ في القرآن الكريم أكثر من (٣٠٠) مرة، وأغلبها
كان أمراً من الله إلى النبي محمد ﷺ.
- ٢- أول ما يلتمسه الإنسان في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ لجوئه إلى من
يرعى رشدَه وتكامله وهو الله تعالى.

٣- تأتي كلمة ﴿وسواس﴾ بمعنى الموجود الذي يوسوس، وكذلك بمعنى
خطرات الذهن والأفكار السيئة، ولكنها هنا بمعنى الوسوس، والأشخاص

الذين يوسوسون للآخرين، ويثيرون في نفوسهم الشك والتردد، ويقومون بعمل شيطاني^١.

٤- ﴿الْخَنَاسُ﴾: من الخنوس بمعنى الاختفاء والتراجع، والشيطان أعماله مخفية، ولو كانت وسوسته علنية لما استطاع أن يتسلط على الناس، فيظل يأتي ويذهب حتى ينجح في مسعاه.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَجْتُمِعَ عَلَى قَلْبِ بَنِي آدَمَ، لَهُ خِرَاطُومٌ كَخِرَاطُومِ الْكَلْبِ، إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) خَنَسَ (أَي رَجَعَ عَلَى عَقْبِيهِ)، وَإِذَا غَفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَسَّوَسَ»^٢ فاشتق له اسمان من فعليه: الوسواس؛ من وسوسته عند غفلة العبد، والخناس؛ من خنوسه عند ذكر العبد لله^٣. لكن ليس إلى حدِّ التسلُّط عليهم بحيث لا يكون للإنسان طريق الخلاص، لأنَّ القرآن في آية أخرى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^٤. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُتَرَاتِدِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ

١. انظر: تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٥٨٣.

٢. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٦٧ ص ٤٩.

٣. انظر: شرح أصول الكافي: المازندراني: ج ٩ ص ٢٣٨.

٤. الأعراف: ٢٠١.

٥. المرتاد: الطالب. والضغث: من الحشيش القبضة منه، قال الله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا﴾.

عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيَمَزْجَانِ،
فَهَذَا لِكَيْ يَسْتَوْلِيَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى^١.

إضاءات تفسيرية

١- لا يمكن محاربة الشرور من دون الاستعانة بالله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

النَّاسِ﴾.

٢- يجب أن يعتبر الانسان نفسه خاضعاً للتربية الإلهية في كل لحظات

حياته.

٣- أشد الاخطار على الانسان هي الاخطار الخفية ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

الْخَنَاسِ﴾.

سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾
وهي سورة مكيّة، وقيل أنها مدنيّة، وهي تتضمّن الأمر للنبي ﷺ ولكل مؤمن أن يلتجئ إلى الله تعالى، الذي خلق وسوّى، والذي بيده تدبير أمور العالم.

إشارات تفسيرية

- ١- لا تحصل الاستعاذة بالله من المخاطر بقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ فحسب؛ بل يجب أن يصاحبها العمل كذلك.
- ٢- ﴿الْفَلَقِ﴾: هو الصبح، وأصله الشق، أي شق ظلام الليل أو نور الصباح، قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾!

١. انظر: حاشية تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٧٥٦.

٣- ﴿غَاسِقٍ﴾: الغسق بمعنى الظلمة، أي كلّ موجود مظلّم، وقد يكون معناه بداية الليل.

٤- ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: المرأة الساحرة التي تنفخ في الشيء الذي عُقِدَ، والعقد جمع (عُقْدَة). وقيل: النَّفَّاحُونَ في المحكمات لإضعافها، ومن مصادقيها الدعايات السيئة، ونقل الأجواء السلبية في المجتمعات والمساجد والمحيط الأسري.

٥- ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: الحسد صفة موجودة في كلِّ إنسان، وقد قيل: ما خلا جسد من حسد، ولكن الكريم يخفيه والثلثم يديه^٣. قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «الحاسدُ يُظهِرُ وِدَّهُ في أقواله، ويخفي بُغْضَهُ في أفعاله، فَلَهُ اسم الصديق وَصِفَةُ الْعَدُوِّ». وقال الصادق عليه السلام: «ثلاثة لم ينبج منها نبيٌّ فمن دونه: التفكّر في الوسوسة في الخلق، والطيرة، والحسد، إلا أنّ المؤمن لا يستعمل حسده»^٥.

١.. انظر: حاشية تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٧٥٦.

٢. المصدر نفسه.

٣. انظر: حاشية رد المحتار، ابن عابدين: ج ١ ص ٤٧١.

٤. عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص ٦٤.

٥. الكافي، الكليني: ج ٨ ص ١٠٨.

أسباب الحسد:

وأسباب الحسد وبواعثه كثيرة، ليس من السهل حصرها لتعدّد مداخله، واشتراك حقيقته مع الكثير من الرذائل، وأهم ما يُمكن إثباته في هذا الجانب أمران:

الأول: الجهل وقلة المعرفة في أمور الدين الفقهيّة والعقائديّة والأخلاقيّة. وهذا من أهم الأسباب التي تقعد بالفرد والمجتمع عن السلوك في درجات الكمال والقرب من الله تعالى، ومن ثمّ الانحطاط والتسافل، والوقوع بارتكاب أنواع الرذائل.

الثاني: تمكّن الخبث من النفس، بحيث تصبح مأنوسة بممارسة الرذائل، صعبة الانقياد للعقل، فيشبُّ الطبع عند ذلك على الخبث واللؤم، فيكون صاحب هكذا نفس يحزن لأفراح الناس وبهجتهم ويفرح بشقائهم ومآسئهم، لذا فهو دوماً يتمنى زوال النعم عن غيره لأنّه يرى في ذلك سعادة. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال لقمان لابنه: للحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب، ويتملق إذا شهد، ويشمت بالمصيبة»^١.

١. بحار الأنوار، المجلسي: ج ١ ص ١٢٨.

اضاءات تفسيرية

١- الاستعاذة من أجل العبادات، وهي جزء من العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله.

٢. لا يتمادى العبد ويستمر في الإنكار والوساوس القلبية لأنها تعمل كالقفل على قلب الإنسان وعقله لذا يجب الاستعاذة بقوة لها القدرة على فتح تلك الأقفال والموانع وكسرها ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ
كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤)

إشارات تفسيرية

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يصفه بالأحديّة التي هي عين الذات^١، فالمقصود من قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ الإشارة إلى تفرّده، فهو المعبود الذي يتحرّر الخلق ويعجزون عن إدراكه والإحاطة بكيفيّته، فهو متفرّد بالهيّته، متعال عن صفات خلقه.^٢

١. تفسير الميزان: ج ٢٠ ص ٣٩٠.

٢. انظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ج ١٠ ص ٤٨٦.

٢- ﴿الصَّمَدُ﴾ معناه: السيد المقصود الذي لا يقضى أمراً إلا بإذنه، فهو الذي يرجع إليه العباد في حوائجهم، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَّبَعُونَ﴾^٢. روي عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: «الصمد الذي لا جوف له، والصمد الذي قد انتهى سؤده، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد الذي لا ينام، والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال»^٣.

٣- ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ إشارة إلى العلاقة بين الله تعالى والمخلوقات، إنها علاقة خلق لا ولادة، أي ينقلها من العدم إلى الوجود، روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «وقوله عز وجل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول: لم يلد فيكون له ولد يرث ملكه، ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيته وملكه»^٤. وفي رواية عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام قال: «لم يلد: لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس.. ولم يولد: لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء... بل هو الله الصمد

١. انظر: حاشية تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٧٥٤.

٢. النجم/٤٢.

٣. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٣ ص ٢٢٣.

٤. المصدر نفسه: ص ٢٢٥.

الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته^١.

٤- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: (كفو) يعني الشبيه والنظير والمثيل، فالله تعالى ليس له شبيه لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا كفاء له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه»^٢.

إضاءات تفسيرية

- ١- اختلف في كون السورة مكية أو مدنية، والأكثر على مكيتها.
- ٢- السورة تصفه تعالى بأحدية الذات، ورجوع ما سواه إليه في جميع حوائجه الوجودية من دون أن يشاركه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وهو التوحيد القرآني الذي يختصُّ به القرآن الكريم ويبنى عليه جميع المعارف الإسلامية^٣.
- ٣- تستعرض نفي كونه مولوداً أو قابلاً للولد، رداً على من ادعى أن له صاحبة وولداً، كما هو حال النصارى.

١. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٣ ص ٢٢٤.

٢. نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٢٣.

٣. انظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج ٢٠ ص ٣٩٠.

٤- تكاثرت الأخبار في فضل السورة، حتى ورد من طرق الفريقين أنها تعدل ثلث القرآن!

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ سورة قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن»^١. وقال أيضاً: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله أحد، فإنه من قرأها جمع الله له خير الدنيا والآخرة، وغفر الله له ولوالديه وما ولدًا»^٢.

وورد في شأن نزولها عن الصادق عليه السلام أنه قال: «أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت قل هو الله إلى آخرها»^٣.

١. انظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج ٢٠ ص ٣٩٠.

٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج ٦ ص ٢٢٣.

٣. الكافي، الكليني: ج ٢ ص ٦٢٢.

٤. المصدر نفسه: ج ١ ص ٩١.

سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ
نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ
(٥) ﴿

إشارات تفسيرية

١- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ التباب: الهلاك والبوار والقطع. وقيل
«التَّب» و«التاب» يعني: الاستمرار في الخسران، كما يقول الراغب^١، أو هو
الخسران المؤدِّي إلى الهلاك كما يقول الطبرسي^٢. وتباب يديه خسرانهما
فيما تكتسبانه من عمل.

١. انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ص ٧٢..

٢. انظر: مجمع البيان، الطبرسي: ج ١٠ ص ٤٧٥..

٢- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: ما نفعه ماله في دفع العذاب عنه، وما كسب من أعمال العنف والإيذاء لرسول الله ﷺ.

٣- ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: سيدخل ناراً ذات لهب، وهي نار جهنم الخالدة، وقيل: يصلها في الدنيا قبل الآخرة. و«لهب» جاءت بصيغة النكرة لتدل على عظمة لهب تلك النار!

٤- ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وهي (أم جميل) امرأة أبي لهب، وأخت أبي سفيان، وعمّة معاوية، وتصفها هذه الآية وما بعدها بأنها تحمل الحطب كثيراً، وفي رقبتها جبل من ليف النخيل^٢، فتبت وخسرت امرأته بما كانت تعمل لرسول الله ﷺ.

٥- ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾ المسد: جبل مفتول من الليف، والظاهر أن المراد بالآيتين أنها ستمثل في النار التي تصلها يوم القيامة في هيئتها التي كانت تتلبس بها في الدنيا، وهي أنها كانت تحمل أغصان الشوك وغيرها وتطرحها بالليل في طريق رسول الله ﷺ، فالتكبر في الدنيا يتحوّل إلى إهانة في الآخرة.

١. انظر: تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٥٣٨.

٢. المصدر نفسه.

٣. انظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج ٢٠ ص ٣٨٥.

إضاءات تفسيرية

- ١- هذه السورة من دلائل النبوة وصدق الوحي لرسول الله ﷺ، حيث تحقّق عملياً ما أخبر به رسول الله ﷺ من هلاك أبي لهب وزوجته على ملة الكفر. يقول الدكتور (جاري ميلر) - الذي أسلم بعد دراسة كتاب الله تعالى - أن أحد أسباب إسلامه هو سورة المسد^١.
- ٢- سُميت هذه السورة في أكثر المصاحف: (سورة تبت)، وسُميت في بعض المصاحف وفي بعض التفاسير: (سورة المسد)، وسمّاها جمع من المفسّرين: (سورة أبي لهب) حيث ذكر أبي لهب فيها^٢.
- ٣- لا ينبغي أن تكون العلاقة الأسرية مانعاً عن قول الحقّ واتخاذ المواقف على حساب الإيمان بالله، إنّ أفضل الحقّ عندما يكون إظهاره والعمل بمقتضاه عزيزاً، فبه يرتفع الإنسان ويهبط. فسلمان الفارسي البعيد يصير من أهل البيت ﷺ، وعمّ النبيّ ﷺ يلعن في القرآن ويذمّ.
- ٤- حمالة الحطب (أمّ جميل) كانت تضع الحطب والشوك والأذى في طريق النبيّ ﷺ وأمام بيته. قال الإمام عليّ ﷺ: «منّا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب»^٣.

١. نظر: كتاب القرآن المعجز (المذهل) للدكتور جاري ميلر تحت عنوان المزيد من الاختبارات لصحة القرآن.
 ٢. انظر: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج ٥ ص ٣٨٨.
 ٣. نهج البلاغة: ص ٣٨٧.

سورة النصر

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾.

إشارات تفسيرية

- ١- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ تبشير من السماء بفتح مكة قبل وقوعه، وعليه فيكون هذا من إخبار الله تعالى بالغيب.
- ٢- ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ الفوج: الجماعة المارة المسرعة، وجمعه أفواج.

نصيحة وتنبية

الهداية فيها تدخل رباني، فرب العالمين هو الذي يُرِين الإيمان في صدور عباده.. لذا فالذي يشتكي من ولد غير مطيع لله تعالى، أو من بنت

١. انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الإصفهاني: ص ٣٨٦.

كذلك، أو من زوجة عاصية؛ فمع السعي لهدايتهم وإرشادهم للإيمان يسأل ربّ العالمين أن يوفقهم لذلك، ف«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»، وهذه حقيقة قرآنيّة، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢.

٣- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ...﴾ أي نزّهه عن النقائص بذكر الحمد، فإنّ الحمد تنزيه وتحميد^٣. ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ طلب العفو والصفح من الله تعالى على ما سلف من الذنوب والأخطاء، والاستغفار يجب على كلّ شخص، حتى أنّ النبي ﷺ كان يستغفر الله تعالى، وإن كان منزهاً عن كلّ نقص فهو تعليم لنا أو زيادة في مراتبه وقربه.

أمّا ما هو دور الاستغفار مع الفتح؟ فالجواب: هو أنّ الإنسان عندما تأتيه الفتوحات الربّانيّة، عليه أن يستشعر ضعفه دائماً وأبداً، فلا يقول: الآن فتحت لي الأبواب، فأنا بألف خير!.. بل عليه أن يعود متذللاً إلى ربّه.

١. الأمالي، الشيخ الصدوق: ج ٢ ص ٢.

٢. الحجرات: ١٧.

٣. انظر: تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٧٤٩.

٤- ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾ تعليل للأمر بالاستغفار لا يخلو من تشويق وتأکید. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «طُوبَى لِمَنْ نَظَرَ إِلَهَهُ تَبْكِي عَلَى ذَنْبٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ الذَّنْبِ غَيْرُهُ»^١.

إضاءات تفسيرية

- ١- ذهب أكثر المفسرين إلى الربط بين هذه السورة وبين فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، إذ ظهر للكثير أحقية الإسلام فآمنوا به.
- ٢- نصره الله منوطة بنصر الناس للدين ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾.
- ٣- إن الذي يريد أن يصل إلى مقام القرب الإلهي ويحظى بالفتوحات الربانية لا بد أن يكون صبوراً وواسع الصدر.. فالبعض يتمسك بالإسلام ويطبّق أوامره ونواهيه بكل حذافيره ولكنه لا يرى أموراً متميزة في حياته، فهذا الطريق يحتاج إلى صبر ومثابرة.. فالنبي موسى ﷺ قد استجيبت دعوته بعد أربعين سنة. وكما نقرأ في الدعاء: «ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي، لعلمك بعاقبة الأمور»^٢.

١. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٧٤ ص ٦٣..

٢. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ص ٥٦٤.

- ٤- أعلن النبي ﷺ عفواً عاماً في فتح مكة وفتحت دون إراقة للدماء، وكان الشعار في ذلك اليوم: (اليوم يوم المرحمة..).
- ٥- الاستغفار إما لتنوير القلب، وإمّا للتخفيف من نشوة النصر وغروره، وإمّا لغفران الذنوب.

سورة الكافرون

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾.

إشارات تفسيرية

- ١- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الخطاب إلى قوم مخصوصين من الكافرين، كما ذكر كثير من المفسرين، والألف واللام للعهد.
- ٢- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يأمر الله نبيه أن يقول لهؤلاء الكافرين الذين أرادوا منه أن يعبد أصنامهم أن يعلن بشكل قاطع أنه لا يعبد ما يعبدون.
- ٣- ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يخبر القرآن عن الغيب ويكشف لهم ولنا أنهم لن يسلموا يوماً، بسبب العناد والمكابرة على الحق.

١. انظر: تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٥١١.

٤- ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبَدُ﴾ تدلان على كيفية العبادة والاختلاف في الاخلاص لله والشرك به.

٥- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ إشارة إلى حرية الإنسان والتفريق بين الحق والباطل، والفصل العقائدي الحاسم بين منهج التوحيد ومناهات الشرك!

إضاءات تفسيرية

١- سُميت السورة الكريمة باسم سورة الكافرون لمطلعها، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ولأنها تتحدّث عن فريق الكفر وعناده.

٢- إنّ النبي ﷺ أمين الوحي وينقل كل ما ينزل عليه، وبكلمة (قل) يدركون أنهم يتعاملون مع الله لاغير.

٣- أحياناً يجب ترك المعاندين لأنفسهم، والقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، وهذا نوع من التحقير والتهديد وليس إجازة بممارسة أي نوع من العقيدة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾^١.

١. انظر: تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٥١١.

٢. الأنعام: ١١١.

٤- الثبات والحزم شرط في القيادة الصالحة ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾
على القائد - كخطوة أولى - أن يكون نموذجاً للإنسان الكامل كي يستطيع
أن يقود الآخرين نحو الكمال المطلق. ومن هنا فإنَّ لعنصر الصبر في القيادة
الإسلامية دوراً مؤثراً في بناء شخصيَّة القائد نفسه، وتنضج قابلياته قبل قيامه
بمواجهة المشكلات السياسيَّة والاجتماعيَّة.

سورة الكوثر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾

إشارات تفسيرية

١- ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر بيان لفضل الله ومنه على رسول الله ﷺ، وأنه وقع موقع عطايه الكثيرة التي تليق بجلال المعطي وقدر المعطي له، ولقد اختلفت كلمات المفسرين في المراد من الكوثر، وأفضل مصداق للكوثر هو ذرية النبي ﷺ وهم الأئمة الأطهار عليهم السلام من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام!

٢- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ بعد أن أمتن الله على نبيه بما أعطاه من الخير الكثير، أمره أن يؤدي شكر هذه النعم، ولذا أمره بالصلاة، باعتبارها

١. انظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج ٢٠ ص ٣٧٠. وانظر: تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي:

المصداق الأجلى للشكر. وأما قوله ﴿وَأَنْحَرْ﴾: فبناءً على جملة من الروايات: أن المقصود به هو رفع اليدين في تكبيرات الصلاة إلى موازاة أسفل الحنجرة، وهو محلّ النحر، وقيل: وانحر البدن؛ وهي الإبل عندما تؤدّي نسك مكة، ولا بأس أن تحمل الآية الكريمة على كلِّ من المعنيين^١.

٣- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: يارسول الله، إنّ مبغضك هو الأبرّ المقطوع ذكره، الذي لا يحمل خيراً، وكلمة ﴿شَانِئَكَ﴾ اسم فاعل، وهي تشمل كلَّ عدو في الماضي والحاضر والمستقبل.

إضاءات تفسيرية

١- سورة الكوثر أقصر سور القرآن الكريم، وهي في مورد الامتنان من الله على نبيه، حيث أعطاه الخير الكثير الذي تجسّد في أبرز مصداق من مصاديق الخير الكثير وهي الزهراء عليها السلام.

٢- سُميت السورة الكريمة باسم الكوثر لمطلعها المبارك، وقيل أنّها أيضاً سُميت - سورة النحر - لمناسبة النحر فيها^٢.

١. انظر: التبيان، الطوسي: ج ١٠ ص ٤١٨.

٢. انظر: تفسير روح المعاني، الألوسي: ج ٢٠ ص ٢٤٤.

٣- تستخدم كلمة (أبتر) في الأصل على الحيوان مقطوع الذنب، وتطلق في الاصطلاح على الشخص الذي لم يبق له نسل من بعده.^١

٤- إنَّ الله تعالى يدافع عن أوليائه، فلقد تناول الكفَّار على نبيِّ الإسلام ووصفوه بالساحر والكاهن والمجنون والأبتر، فجاء الردُّ من السماء على من يقول لأشرف المخلوقات أبتر إنَّ الله سبحانه سيُعطيهِ النسل الكثير والخير الوافر لتبتهت عقول الجميع، وهم الذين سينقطع ذكْرهم ويعفى أثرهم.

١. انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج ٣٢ ص ١٣٣.

سورة الماعون

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾.

إشارات تفسيرية

١- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾.. ﴿أَرَأَيْتَ﴾ استفهام يحمل إثارة وتشويق مع شيء من التعجب من حال ذلك الشخص الذي يحمل عقيدة الإنكار والتكذيب بيوم القيامة. والمراد ﴿بالذِّينِ﴾ يوم الجزاء، فالمكذب بالدين منكر المعاد.. وقيل: المراد به الذِّين، أي بمعنى الملة. وبالتالي، فإنه يُنكر أصلاً من أصول الدين.. هذا الإنسان المكذب بأصل من أصول الدين، انعكس ذلك على سلوكه العملي، فأخذ يجفو ويدعُ اليتيم.

٢- ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ الدُّعُ: هو الرَّدُّ بعنف وجفاء، والتقدير: رأيت الذي يكذِّبُ بالجزاء، فعرفته بصفاته اللازمة لتكذيبه.. فإن لم تعرفه؛ فذلك الذي يردُّ اليتيم بعنف ويجفوه، ولا يخاف عاقبة عمله السيء^١. و﴿اليتم﴾ إنسان فقد أباه الذي كان يقوم عليه، يدبّر أموره وشؤونه ويهتم بقضاياه، وما يصلحه روحياً ومادياً.

٣- ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الحَضُّ: الترغيب؛ أي لا يرغّب الناس على إطعام المسكين، فلا يستشعر الرحمة في نفسه فلذلك يمنع المعروف عن أهله.

٤- ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ لم يقل: ويل لتاركي الصلاة.. والويل: كلمة عذاب وتهديد ووعيد شديد.

٥- ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ سهوهم عن الصلاة يعني إهمالها وعدم الاهتمام بها. روي في الكافي بسنده عن محمد بن الفضيل قال: «سألت عبداً صالحاً (يعني الإمام الكاظم عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: هو التضييع^٢. وورد كذلك في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة»^٣.

١. انظر: تفسير الميزان: ج ٢٠ ص ٤٨٨.

٢. الكافي، الكليني: ج ٣ ص ٢٦٨.

٣. وسائل الشيعة: ج ٤ ص ٢٥.

٦- ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾ أي يأتون بالعبادات لمراعاة الناس، فهم يعملون للناس لا لله تعالى^١.

٧- ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الماعون: كل ما يُعين الغير في رفع حاجة من حوائج الحياة، كالقرض تقرضه، والمعروف تصنعه، ومتاع البيت تعيره^٢.
روي عن الصادق عليه السلام قال: «نهى النبي صلى الله عليه وآله أن يمنع أحد الماعون جاره، وقال: من منع الماعون جاره، منعه الله خيره يوم القيامة، ووكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه فما أسوء حاله»^٣.

إضاءات تفسيرية

- ١- تستعرض السورة نموذجاً ممن اتصف بالإيمان وهو يمارس النفاق.
- ٢- الدين مجموعة واحدة متكاملة، إذ هناك رابطة بين الانحراف العقائدي والانحراف العملي
- ٣- يمتلك المرآئي ظاهراً جميلاً وباطناً مريضاً، فيتظاهر أنه من أهل الخشوع والتواضع ولكن في الباطن فإنه لا يتوانى عن ارتكاب الذنب.

١. انظر: تفسير الميزان: ج ٢٠ ص ٣٦٨.

٢. انظر: مجمع البيان، الطبرسي: ج ١٠ ص ٤٥٧.

٣. من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٤.

٤- إذا قام الإنسان بالعمل لله تعالى فقط منذ البدء، وعلم الناس بعمله فسره ذلك فلا مانع من ذلك، وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن ذلك فقال: «لا بأس، ما من أحد إلا وهو يجب أن يظهر له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»!

سورة قريش

﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾.

إشارات تفسيرية

١- ﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ﴾ مصدر ألفت الشيء، وآلفته من الألفة ولزوم الشيء والاعتیاد عليه. و﴿قريش﴾ هم أبناء النضر بن كنانة. قيل: سميت بذلك لأنهم كانوا يأكلون من تجارتهم، والتقرش هو التكبُّب!

٢- ﴿إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ امتنان على قريش حيث جعلها تألف وتعتاد رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام دون أن يعكّر صفوها أحد.

١. مجمع البيان، الطبرسي: ج ٩ ص ١٥٥١.

٣- ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ إذا كان الله هو الذي وقر لهم الأمان، وأنعم عليهم فعلى قريش أن تعبد رب هذا البيت.

٤- ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ إن تأمين المعيشة وإحلال الأمن ورفع أسباب الخوف هو شأن إلهي.

إضاءات تفسيرية

١- اختلف العلماء في كون هذه السورة تنمة وتكميل لسورة الفيل، حيث تتناولان عناية الله تعالى ببيته الحرام في مكة المكرمة وسكانها من قريش. ففي سورة «الفيل» جاء ذكر إبادة أصحاب الفيل الذين جاؤوا لهدم الكعبة، وهذه السورة تذكر قريش ورحلتها الصيفية والشتائية للتجارة، ومن ثم تأمين رزقهم ومعاشهم، وكذلك أمنهم وسلامتهم. وهناك رأي آخر يقول بانفصال السورة عما تقدم واستقلاليتها عنها بسبب الفصل بينها وبين سورة الفيل بالبسملة^١.

٢- إن المجتمع المتألف البعيد عن النزاعات لهو مجتمع قريب إلى تحقيق السعادة الاجتماعية والإيمانية، ولهذا فإن النبي الأكرم ﷺ ما كان يمكنه العمل في ترسيخ الدعوة الإلهية في المدينة إلا ضمن هذه الألفة الاجتماعية.

١. انظر: تفسير الأمل: ج ٢٠ ص ٤٨٠.

٣- إنَّ تعداد النعم الإلهية من موجبات التنبه والالتفات إلى المنعم، وهذا الأمر مغروس حتى في الدواب الصامتة إذ تتعلق بإحسان عالفها، وفي هذا السياق نرى بأنَّ الله تعالى جعل توجّه النعم إلى قريش من: الألفة، وتيسير رحلة الشتاء والصيف، والإطعام والأمان؛ مقدّمة للدعوة إلى عبادة ربّ البيت.

٤- إنَّ نعمة الأمان وخلوّ النفس من خوف ما يُخشى منه، لمن أهمّ النعم التي يختصّ بها الله تعالى عباده في الدنيا وكذا في الآخرة؛ لأنّ القلب الفارغ من كل مُشغل، لهو القلب السليم الذي يمكن أن يكون محطّاً لأنوار الجلال والجمال الإلهي، ويؤيّد ذلك ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: القلب السليم الذي يلقي ربّه، وليس فيه أحد سواه»^١.

٥- إنَّ شكر المنعم هو أحد أهداف العبادة.

٥٣. الكافي، الشيخ الكليني: ج ٢، ص ١٦.

سورة الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)﴾.

إشارات تفسيرية

١- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ هم أبرهة بن الأشرم وقومه الذين جاءوا ومعهم الفيلة لهدم الكعبة.

٢- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي ألم يجعل ما كادوه لبيتنا وحرمانا وتخريب الكعبة في ضياع وخسارة وضلال فلم يجنوا إلا الخزي والدمار.

٣- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أطلق جماعات من الطيور متفرقة كل جماعة تتبع أخرى، كجيوش منظمة مدربة أمرها الله أن تأتي القوم الظالمين.

٤- ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر.

٥- ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ فجعلهم كورق الشجر الذي عصف به الريح يشبه التبن وأكلته الدواب وكسرتة وحطمته ثم راثته.

إضاءات تفسيرية

١- تتحدث السورة عن قصة (أصحاب الفيل) حين قصدوا هدم الكعبة المشرفة، فردَّ الله كيدهم إلى نحورهم، وحوى بيته من تسلطهم وطغيانهم، وأرسل على جيش (أبرهة الأشرم) وجنوده أضعف مخلوقاته، التي تحمل في أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة ولكنها أشد فتكاً وتدميراً من الرصاصات القاتلة، حتى أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم.

وكان ذلك الحدث التاريخي الهام في عام ميلاد سيد الكائنات محمد بن عبد الله ﷺ سنة سبعين وخمسائة ميلادية.

وحادثة الفيل معروفة متواترة لدى العرب، حتى أنهم جعلوها مبدأ تاريخ يحدون به أوقات الحوادث.

٢- لقد كانت حادثة الفيل إرهاباً ومقدمة لبعثة النبي الأكرم ﷺ، وما سيكون له من شأن في البلد الحرام.

٣- أن القوة لله جميعاً، وأن قوى البشر مهما عظمت وبلغت تتضاءل أمام قوة الله تعالى، وأن البشر مهما تجبروا ومهما أوتوا من قوة فهم ضعاف أمام سلطان السموات والأرض.

سورة الهمزة

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)﴾.

إشارات تفسيرية

- ١- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ تهديد وويل وهلاك لكل همّاز، وهو الذي يغتاب الناس ويطعن في أعراضهم، ولكل لَمَّاز وهو الذي يعيب الناس وينال منهم بالحاجب والعين (مع العلم أن هناك معان متعددة غير ما ذكرناه).
٢- ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ جمع المال وعدّه مرّة بعد مرّة، كي يحرك فيه شعوراً أنه فوق الجميع.

١. انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج ٢٢ ص ٩٢.

- ٣- ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ تحذير من خداع الدنيا لنا وألا نغتر بالمال.
- ٤- ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطْمَةِ﴾ زجر وردع لهذا الذي ذهبت به الظنون أن ماله يخلده، فسرعان ما يقذف باحتقار وذلة في نار محطمة^١.
- ٥- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾ تعظيم لشأن تلك النار وتفخيم لها، ويستفاد من بعض الروايات أن «الحطمة» ليست كل نار جهنم، بل هي طبقة رهيبة في حرارتها^٢.
- ٦- ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ بيان للحطمة، وهي نار مشتعلة متقدة لا تطفى أبداً.
- ٧- ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ تنفذ هذه النار في القلوب، وتدخل فيها بأنواع العذاب بسبب تلك العقائد الفاسدة والآراء الباطلة.
- ٨- ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ تكون مؤصدة الأبواب مقلقة لا يستطيع أحد الخروج منها، هؤلاء في الحقيقة يقبعون في غرف تعذيب مغلقة الأبواب لا طريق للخلاص منها، كما كانوا يجمعون أموالهم في الخزانات المغلقة الموصدة.
- ٩- ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ الأوتاد الحديدية العظيمة التي تغلق بها أبواب جهنم حتى لم يعد هناك طريق للخروج منها^٣.

١. انظر: التفسير الأمثل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٤٥٢

٢. انظر: المصدر نفسه.

٣. انظر: المصدر نفسه.

إضاءات تفسيرية

١- هذه السورة تتحدّث عن أناس كَرَّسُوا كُلَّ هَمِّهِمْ لَجْمَعِ الْمَالِ، وحصروا كلَّ قيم الإنسان الوجودية في هذا الجمع، ثم هم يسخرون من الذين لا يملكون المال وبهم يستهزئون، ومنهم الوليد بن المغيرة، والأخس بن شريق، وأمّية بن خلف.

وفي النهاية تبيّن المصير المؤلم الذي ينتظر هؤلاء، وكيف أنهم يُلقون في جهنم صاغرين، وأنّ نار جهنم تتّجه بلظاها أولاً إلى قلوبهم المليئة بالكبر والغرور، وتحرقها بنار مستمرة!

٢- إنّ السخرية والاستهزاء هو من الذنوب الكبيرة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ..﴾^١

٣- لا يسلط الله تعالى النار على الجسم فقط بل تنفذ إلى أرواح المجرمين وقلوبهم، قال تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾.

١. انظر: التفسير الأمثل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٤٤٦.

٢. الحجرات/١١.

سورة العصر

﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾.

إشارات تفسيرية

- ١- ﴿وَالْعَصْرُ﴾ يُقسم سبحانه بالزمان، فالزمان له قيمة، فلنعتبر إذاً من عبره.
- ٢- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يعني جنس الإنسان في خسر، الإنسان يخسر ثروته الوجودية شاء أم أبى، تمرّ الساعات والأيام والأشهر والأعوام من عمر الإنسان بسرعة، فتضعف قواه المادية، وتتناقص قدرته باستمرار.
- ٣- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا استثناء ممّن خسروا أنفسهم، وقد ذكر أوصافهم التي كانت مراكب للنجاة، وأولى تلك الصفات هم الذين آمنوا بالله ورسله وكتبه واستجابوا لندائه. فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»!

٤- ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الصالحات هي كل ما شرَّعه الله من طهارة وصلاة وصيام وأخلاق طيبة ومعاملة عادلة، والورع عمَّا حرم الله تعالى والاجتناب عن كل ما نهى عنه.

٥- ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أوصى بعضهم بعضاً بالحق، تواسوا فيما بينهم أن يعملوا ويؤدُّوا فرائض الله، وينتهوا عن محارم الله، فإنَّ المؤمن كما يحبُّ الخير لنفسه يحبُّه لغيره.

٦- ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ الصبر: هو العمود الفقري للحياة الإيجابية، فالطاعات تحتاج إلى الصبر، كما يحتاجه الإنسان ليقف أمام المعاصي فلا يمارسها أو يقترب منها. روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ»^١.

إضاءات تفسيرية

١- شمولية هذه السورة تبلغ درجة حدث ببعض المفسرين إلى أن يرى فيها خلاصة كلِّ مفاهيم القرآن وأهدافه.

٢- يُقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر، ولكن اختلف فيما هو المراد بالعصر؛ فذهب بعض إلى أن المقصود من العصر هو عصر ظهور الإسلام،

١. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٦٨ ص ٩٢.

وذهب آخر أن المقصود من العصر خروج القائم عليه السلام، وقال آخر هو الدهر والزمن من تكوين الناس وإلى آخر يوم في الدنيا.

٣- من المهم أن نقف ولو قليلاً عند المنهج الذي وضعه القرآن الكريم للنجاة من ذلك الخسران... إنه منهج يتكوّن من أربعة أصول هي:

الأصل الأوّل: «الإيمان».

والأصل الثّاني: «العمل الصّالح».

والأصل الثّالث: «التواصي بالحق».

والأصل الرّابع: «التواصي بالصبر»، والإستقامة.

٤- الإيمان مقدّم على العمل، كما أنّ بناء النفس مقدّم على بناء المجتمع، ولكن بشرط لا يكتفي الإنسان أن يفكّر في نفسه دون أن يفكّر في إرشاد الآخرين.

سورة التكاثر

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ
(٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾.

إشارات تفسيرية

- ١- ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ الإلهاء: الصرف إلى اللهو، تحذير من يشتغل بجمع الدنيا والازياد منها لياهي بها الآخرين وهو غافل عن الآخرة.
- ٢- ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ يراد به الموت، وهنا لفتة مهمة من الآية الكريمة، تشير إلى أن الإنسان يستيقظ من غفلته إمَّا حين موته وإمَّا حين زيارته للمقابر حيث يتذكَّر أنه سيموت يوماً ما.
- ٣- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا زجر وردع وتهديد عمَّا هم عليه من التكاثر بالأموال والأولاد، وسيقفون أمام أعمالهم وسيحاسبون عليها ويقتص منهم في مقابلها.

٤- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا تأكيد للوعيد والتهديد المتقدم، ولكنه أشد وأبلغ، حيث أتى بـ(ثم)، وذهب بعض المفسرين إلى أن: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأولى إشارة إلى عذاب القبر والبرزخ، والثانية إلى عذاب القيامة!

٥- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لم تعرفوا الحقيقة ولم تقفوا عليها كما هي، وما عندكم ما هو إلا مجرد ظنون وأوهام.

٦- ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ لو أدركتم الحقائق كما هي عليه، وكما في واقعها لرأيتم الجحيم. والرؤية يمكن أن تكون عبارة عن دخولهم النار وذوقهم العذاب.

٧- ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ تأكيد أن الرؤية حقيقة لا مجاز فيها، وكذا تتحدث عن الشهود القلبي في عالم الدنيا، وفي هذه الحالة تكون الآية جواباً لقضية شرطية هي: لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم (في هذه الدنيا بعين بصيرتكم)٢.

١. انظر: تفسير الأمل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٤٢٢.

٢. انظر: المصدر نفسه، ص ٤٢٦.

٨- ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ سؤال محاسبة، والنعيم هو العيش الكريم بما يحمل ذلك من صحة وجمال وجاه وسلطان وأمن وسلامة، ومن أظهر مصاديق النعيم الذي يسأل عنه الخلق هو الولاية.

إضاءات تفسيرية

- ١- حقيقة واضحة يكشف سبحانه عن عمقها في النفس؛ حيث تشغل الدنيا هذا الإنسان، فيقول تعالى ذلك موبِّحاً عباده عن اشتغالهم عمَّا خُلِقُوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته والإنابة إليه، وتقديم محبته على كلِّ شيء.
- ٢- لا ينبغي أن يغيب عن البال أنَّ طلب الدنيا الذي يراد به الآخرة يدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَبْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾!

٣- ثمّة مراتب لليقين، وقد وردت مرتبتان في هذه السورة، ووردت مرتبة في سورة القارعة، وهذه المراتب هي: علم اليقين، حقّ اليقين، وعين اليقين. فقد يعلم الإنسان بوجود النار بمشاهدته للدخان وهذا علم اليقين،

وقد يرى النار نفسها فيكون عين اليقين، وقد يلمس النار بيده ويشعر بحريقها وهذا هو حقّ اليقين.

٤- ورد في عدّة من الروايات أنّ النعيم الذي سوف يُسأل عنه الخلق يوم القيامة هو ولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام، وفي بعضها أنّه ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، ففي عيون الأخبار بإسناده إلى إبراهيم بن عباس الصوفي الكاتب قال: كنّا يوماً بين يدي علي بن موسى الرضاء عليه السلام فقال: «ليس في الدنيا نعيم حقيقي، فقال له بعض الفقهاء ممّن حضره: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾: أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد. فقال له الرضاء عليه السلام وعلا صوته: كذا فسرّتموه أنتم وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، وقال آخرون: هو طيب النوم، ولقد حدّثني أبي عن أبيه أبي عبد الله عليه السلام: إنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله (عزّ وجلّ): ﴿لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فغضب وقال: إنّ الله (عزّ وجلّ) لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به، ولا يمنّ بذلك عليهم، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق (عزّ وجلّ) ما لا يرضى المخلوقين به؟ ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة!.

١. انظر: تفسير الأمل، مكارم الشيرازي: ج ٧ ص ٢٧٣.

سورة القارعة

﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا
مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ
(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾.

إشارات تفسيرية

- ١- ﴿الْقَارِعَةُ﴾ * مَا الْقَارِعَةُ﴾ مشتقة من القرع، وهو الضرب بشدة، ومنه قول القائل: العبد يقرع بالعصا، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿...وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ...﴾^١.
- ٢- ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ سؤال عن حقيقتها لتفخيم أمرها.

٣- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ تعظيم لشأنها، وأنتك لن تدرك كنهه وحقيقة هذا الحدث الكبير، فالقيامة أبعد من فكر البشر.

٤- ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ الغوغاء من الجراد الذي ينفرش ويركب بعضها فوق بعض، فإن الناس يكونوا مثل الفراش في الكثرة والاضطراب والانتشار بسب حيرتهم، لهول الصدمة وقوتها وشدة وقعها عليهم.

٥- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ أي الصوف المصبوغ المندوف. فتتحول الجبال مع صلابتها بفعل القارعة إلى حالة زوال الاستقرار، فتصبح كالصوف المندوف تحمله أقل حركة للهواء.^٢

٦- ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي رجحت حسناته وكثرت، وكان يحمل الإيمان والتقوى فهو في عيشة يرضاها ويرضى بها وهي الجنة. والإتيان بالجمع لأن لكل عمل حسن ميزان، فميزان للصلاة وميزان لبر الوالدين وهكذا.

٧- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن قلت حسناته وكثرت سيئاته فكانت كل حياته مملوءة بالانحراف العقيدي والسلوكي.

١. انظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ج ١٠ ص ٤٢٧

٢. انظر: معالم التنزيل، البغوي: ج ٤ ص ٥١٩.

٨- ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي مأواه جهنم، والمعنى أنّ محلّه النار، فكما أن الولد يأوي إلى أمّه، كذلك يأوي العاصي إلى جهنم. وسمّيت بالهاوية لهوي الشخص فيها.

٩- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ أيها الإنسان إنك لا تدرك حقيقتها وتفصيلها لهولها، وكيف تعرفها وهي المحجوبة عنك ولا تصل إلى معرفة كنهها مدارك البشر.

١٠- ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ إنّها نار شديدة الحرارة ملتتهبة، ومن الملفت هنا أنّ الآية تصف النار بأنّها حامية، وهو أمر بديهيّ لكل أحد إذ لا يُعقل سوى ذلك، ولكن الآية كأنّها تريد أن تقول: بأنّ النار الحامية حقيقة، هي هذه النار الأخرويّة قياساً إلى نار هذه الدنيا، وكأنّها غير حامية!

إضاءات تفسيرية

١- سورة القارعة تتكلم عن يوم القيامة، وهو يومٌ عظيم، سمّاه الله (عزّوجلّ) في القرآن الكريم بأسماء كثيرة.

٢- جرى الحديث عن القيامة في قالب القسّم وغيره في سبعين مورداً في القرآن الكريم، وفيه دلالة واضحة على مصيريّة الاعتقاد به كأصل من

١. انظر: حاشية تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٥٧٢.

أصول الدين أولاً، والاتفات التفصيلي إليه في حركة الحياة ثانياً كعنصر مُذكر باللقاء الإلهي!

٣- إذا كانت الجبال تتحوّل على صلابتها بفعل القارعة إلى هذه الصورة التدميريّة المخيفة، فما بال هذا الإنسان الذي خلق ضعيفاً، واستمرّ في حالة الفقر والضعف، فهل يقوى على مواجهة القارعة وما يحدث فيها؟

٤- لا يختصّ الثقل بالماديّات، لذا نقول للكلام الخالي من المعنى كلام خفيف، فالمدار على قيمة العمل وكيفيته.

٥- ورد التعبير ب﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ في أكثر من عشرة مواضع من القرآن الكريم، وورد التعبير ب﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ في ثلاثة مواضع، وقيل في الفرق بينها: إنّ الأوّل في مواضع يريد الله تعالى أن يُدري نبيه ﷺ ما أثار السؤال حوله، وأمّا في الثاني: فإنّها في موارد أراد الله تعالى أن يطوي عنها، ويعرض عن الإجابة عليها، فكان تصريحاً حقيقياً بعدم الدراية بها وإدراك العقول لها، كما في مورد حديثه تعالى عن القيامة قائلاً: ﴿...وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾!

سورة العاديات

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)
فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ
عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثِرَ مَا
فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ
(١١)﴾.

إشارات تفسيرية

- ١- ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ أي قسماً بالأفراس التي تعدو في سبيل الله للجهاد. وأما (الضبح) فهو صوت أنفاس الخيل عند عدوها^١.
- ٢- ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ وهذا أيضاً قسم بالخيل التي تجري بسرعة فينقده من حوافرها النار والشرر^١

١. انظر: تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٧١٨.

- ٣- ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ الإغارة والغارة: الهجوم على العدو بغتة بالخييل، هذه الخييل تهجم على الأعداء عند الصبح مباغتة.
- ٤- ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ يعني تلك الخيول أثارت بذلك المكان الغبار الكثير لمطاردتها الأعداء، وإثارة الغبار في العدو يدهشه ويبلبل أفكاره، ويأخذ عليه طرق المواجهة التي خطط لها المجاهدون.
- ٥- ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ هذا بيان أن خييل المجاهدين اقتحمت صفوف الأعداء وشقتها ودخلت فيها حتى أصبحت في وسط تلك الجموع، أي وصلوا إلى قلب العدو الذي لا يصل إليه عادة إلا المنتصر الظافر^١.
- ٦- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم؛ أن الإنسان يتخذ طريق الكفر والجحود فينسى ربه ويمنع الحق. (الكنود): أصله كما قيل منع الحق والخير^٢.
- ٧- ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي الإنسان يشهد بذلك على نفسه ويقرُّ ويعترف أنه جاحد لنعم الله ولا يمكنه إنكار ذلك.
- ٨- ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ هذا ليس مدحاً، والخير هنا المراد به المال، فالإنسان شديد في حب كل خير لنفسه.

١. تفسير القرطبي، القرطبي: ج ٢٠ ص ١٥٤.

٢. انظر: تفسير الأمل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٣٩٦.

٣. انظر: تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٧٢١.

٩- ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: بعث الموتى وأخرجوا من قبورهم منتشرين مُبعثرين هنا وهناك^١.

١٠- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ظهرت نوايا الناس وما أضمروه من خير وشر، ليجازى على السرِّ كما يجازى على العلانية. فقد ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: «تجد الرجل لا يخطئ بلام ولا واو، خطيئاً مصقعاً، ولقلبه أشد ظلمة من الليل المظلم!.. وتجد الرجل لا يستطيع يعبر عما في قلبه بلسانه، وقلبه يزهر كما يزهر المصباح»^٢.

١١- ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ إِنَّ الله عالم بالناس في الدنيا ولكن في يوم القيامة يظهر هذا العلم للجميع.

إضاءات تفسيرية

١- جاء في تفسير مجمع البيان: «لما نزلت هذه السورة، خرج رسول الله ﷺ إلى الناس، فصلّى بهم الغداة، وقرأ فيها (والعاديات). فلما فرغ من صلاته، قال أصحابه: هذه سورة لم نعرفها!! فقال رسول الله ﷺ: نعم إنّ علياً ظفر

١. انظر: تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٧٢١.

٢. الكافي، الكليني: ج ٢ ص ٤٢٢

بأعداء الله، وبشّرني بذلك جبرائيل عليه السلام في هذه الليلة. فقدم علي عليه السلام بعد أيام بالغنائم والأسارى^١.

٢- يُقسم سبحانه بخيول المجاهدين، هذه الخيول التي تجري بسرعة في سبيل الله، وهذا القسم يشكّل نموذجاً لكل الآلات والوسائل التي تستخدم في سبيل إعلاء كلمة الله.

٣- إنّ الإنسان العاصي جاحد لربّه، فهو لا يرى إلا الساعة التي هو فيها، فينحرف عن الإيمان بربّه، ويجحد ويكفر بما أنعم الله عليه.

٤- للجهاد والدفاع قيمة عظيمة لدرجة أنّ الله تعالى أقسم بصوت أنفاس خيول المجاهدين.

٥- انتقد القرآن الكريم البخل والتعلّق الشديد بمال الدنيا؛ لأنّه السبب في نسيان الآخرة.

٦- عبّر القرآن عن مال الدنيا بكلمة الخير، ليفهم الناس أنّه يحبّ تحصيل المال عن طريق الخير.

٧- الله تعالى مطلع بشكل كامل على أفكارنا وأعمالنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

١. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٢١ ص ٦٦.

٨- كل نعمة يُنعم بها على الإنسان، كخبر جميل، أو مولود، أو نجاح، أو مكسب مالي، أو شفاء من مرض؛ فإنَّ أفضل ما يقوم به في تلك اللحظة، أن يسجد لله (عزَّ وجلَّ) شاكرًا.

سورة الزلزلة

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥)
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾.

إشارات تفسيرية

١- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ مشهد من مشاهد يوم القيامة، والزلزال: حركة شديدة واهتزاز قوي للأرض الثابتة، وهذا الزلزال من نمط آخر، فهو ينسف بنية الأرض ويقلبها رأساً على عقب، بحيث تخرج ما في باطنها من أموات وثروات.

٢- ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ تخرج ما في جوفها من أموات، وكل ما فيها من الأشياء، فتلقاها على ظهرها عند قيام الساعة. ولا يخفى ما في هذه العبارة من الدلالة على أنّ المعاد جسماني أيضاً ولا يختصّ بالأرواح، كما يذهب إليه البعض.

٣- ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ متعجباً من هذه الحوادث، وما هذا الأمر العجيب الذي هزَّ الأرض هذه الهزة العظيمة.

٤- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هذا هو الجواب: إن في ذلك اليوم تتحدَّثُ الأرض بأخبارها وما جرى عليها، وقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قرأ يوماً قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أخبارها: أن تشهد الأرض على كلِّ عبد أو أمةٍ بما عمل على ظهرها، فتقول: يا رب، لقد عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا».

٥- ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ السبب لحديث الأرض أن الله سبحانه أمرها أن تُحدِّثَ بأخبارها وما جرى عليها وفيها.

٦- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ صدور الناس أشتاتاً يوم القيامة تابع لما ورد في آية أخرى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، ومن المعلوم أن تشتت الناس يوم القيامة لا يعني أنهم جميعاً في حالة واحدة؛ لوضوح أنه ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، فلا مانع من خروجهم متفرقين، ولكن تحت رايات مختلفة بحسب من تولَّوا في الحياة الدنيا.

٧- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ هذه الآية الكريمة تشكل قاعدة إيمانية، حيث تؤسِّس للإيمان بعدل الله الذي ينبسط على كلِّ حركة

يقوم بها الإنسان. فالمحكمة الإلهية لاتنسى ولا تضل ولا تحابي، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ...﴾^١.
 ٨ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ من يعمل في الدنيا من الكفر والعصيان يره في ذلك اليوم، ولذا ورد في تفسير علي بن إبراهيم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ يقول: إن كان من أهل النار وقد كان عمل في الدنيا مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة حسرة أنه كان عمله لغير الله، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يقول: إن كان من أهل الجنة رأى ذلك الشر يوم القيامة ثم غفر له»^٢.

إضاءات تفسيرية

١- إنَّ التركيز على القيامة وما يجري فيها من الأهوال هي سمة من سمات القرآن الكريم، وذلك عندما يُراد سوق العبد إلى العمل الصالح؛ ليتمَّ الربط دائماً بين العمل في الدارين. وهذه السورة واقعة في هذا السياق؛ حيث تبدئ بذكر القيامة وأهوالها، ثم تُختم بذكر تجسّم الأعمال في تلك النشأة؛ ليكون العبد على حذر في أول الطريق؛ لئلا يفاجأ بالخواتيم.

١. آل عمران/ ٣٠

٢. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٢٧ ص ١٦٩.

- ٢- مشاهد يوم القيامة يختلف عما رأيناه وعشناه في بعض ما يمرُّ علينا من الهزّات الأرضية مهما كانت تلك الهزّات عنيفة وقوية ومدمّرة.
- ٣- جاء في لسان بعض الروايات: أنّ الأرض تدرك ما نقوم به عن علم، أي أنّها تشهد لأهل التقوى، وكذلك تشهد على الفجرة العصاة.
- ٤- يخرج الناس يوم القيامة متفرّقين متّجهين إلى ساحة القيامة، وهناك يكشف لكل واحد عن أعماله التي قام بها في الدنيا.
- ٥- إنّ الله تعالى سيحاسب هذا الإنسان على كلّ فعل خير أو فعل شرّ دون استثناء، فالأعمال كلّها مجموعة عنده ومحصّية بدقة متناهية خيرها وشرّها.

سورة البينة

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ (٣)
وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا
إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾.

إشارات تفسيرية

١- ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ
حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وصف للحالة التي كان عليها أهل الكفر من أهل

الكتاب والمشرّكين من كفرة العرب، من البقاء على معتقداتهم حتى تأتيهم الحجة الظاهرة وهو القرآن الكريم والرسول العظيم ﷺ.

٢- ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يَبينُ اللهُ تعالى المراد بالبينه إنه النبيُّ الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ، الذي أرسله من عنده وأوحى إليه بكلامه وأمره.

٣- ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ الكتاب يستعمل بمعنى الموضوع، كما يقال كتاب الصلاة وكتاب الصوم ويراد موضوعهما، وهنا إشارة إلى القرآن وما فيه من إحقاق للحق، ولأنه يجمع خلاصات الكتب السابقة ولبابها.

٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ بيان أن تفرّق الذين أوتوا الكتاب من يهود ونصارى لم يكن عن غباء، ولم يكن لعدم وضوح الحق؛ بل إنّ تفرّقهم كان بعد وضوح الرؤية، ولكن غلبت عليهم الأهواء والميول فباعوا دينهم بديانهم.

٥- ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ حقيقة إيمانية حملها كل الأنبياء ﷺ، فلم يأت نبيٌّ أو رسولٌ إلا وقال للناس: اعبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة، وكانوا يأمرّون الناس أيضاً بالصلاة وإعطاء الزكاة.

٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ الذين استمروا على كفرهم فلم

يؤمنوا بالرسول هؤلاء جميعاً جعل الله لهم جزاء كفرهم وعنادهم نار جهنم ولا يخفف عنهم فيها، فهم شرُّ الخلق وأسوأهم.

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾

وهم فريق الإيمان بالله ورسوله، فريق نظر بالعقل والوعي وفكر في التعاليم التي تلقى إليه فوجدها صادقة تنسجم مع الفطرة، فصدق بها وعمل بما تقضيه وما تتطلبه. وهنا إشارة إلى أن ادعاء الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بد أن تشهد عليه الأعمال الصالحة. وفي الدر المنثور عن ابن عباس قال: «حين نزلت آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»!

٨- ﴿جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ هذا ما أعدّه الله لهم إذ ليس بعد الجنة نعيم وليس بعد هذا الثواب ثواب يعادله، إنها جنات تكون فيها الإقامة الدائمة التي لا تنغصها احتمالات التحول عنها.

٩- ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ رضي الله عنهم لأعمالهم

الصالحات فتقبلها منهم وأثابهم عليها فرضوا بما أعطاهم من أجر وثواب، واطمأنّت نفوسهم إلى عطائه.

١. الدر المنثور، السيوطي: ج ٦ ص ٣٧٩؛ بحار الأنوار، المجلسي: ج ٣٥ ص ٣٤٥.

١٠- ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ السرُّ العميق وراء ذلك الجزاء، إنها الخشية من الله، الخشية التي تعني الخوف من الله المستبطنة لتعظيم الله عز وجل.

إضاءات تفسيرية

١- هذه السورة تناولت رسالة النبي ﷺ وما فيها من دلائل بيّنة، هذه الرسالة التي كان أهل الكتاب ينتظرونها، لكن حين ظهرت أعرض عنها فريقٌ منهم لما وجدوا فيها من خطر على مصالحهم الشخصية.

٢- ادّعى الكفّار أنّهم سيقون على طريقتهم ومواقفهم وآراءهم وأديانهم حتى تأتيهم حجّة ظاهرة بيّنة، وقد قدّم لهم سبحانه وتعالى بيّنة واضحة كاشفة للحقّ، وهذه البيّنة هي رسول الله ﷺ.

٣- خصّ الله سبحانه أهل الكتاب هنا بالاختلاف، لأنّ أوصاف النبي ﷺ كانت عندهم وكانوا ينتظرون بعثته فلما جاءهم اختلفوا فيه.

٤- إنّ دين الإسلام ليس فيه سوى التوحيد الخالص والصلاة والزكاة وأمثالها من التعاليم، وذكر المؤمنين مقرون بذكر الأعمال الصالحة، باعتبارها ثمرة دوحه الإيمان.

٥- أخبر القرآن الكريم في عدّة من آياته عن أمور مهمّة، تتعلّق بما يأتي من الأنباء والحوادث، وقد كان في جميع ما أخبر به صادقاً، لم يُخالف الواقع في شيء منها، ولا شكّ في أنّ هذا من الإخبار بالغيب، ولا سبيل إليه غير طريق الوحي والنبوة.

سورة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾

إشارات تفسيرية

١- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يراد به أنه سبحانه ابتداء إنزاله في ليلة القدر من شهر رمضان على قلب رسول الله ﷺ بجملته، ثم نزل متفرقاً على رسول الله ﷺ في ظرف ثلاث وعشرين سنة.

٢- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأن ليلة القدر، وأن هذه الليلة هديّة السماء لأهل الأرض، فإنها ليلة بدء نزول الدستور الإلهي الذي سوف يغيّر وجه الأرض.

٣- ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ خصوصية من خصوصيات ليلة القدر، حيث جعل الله العمل فيها يساوي العمل في ألف شهر ليس فيه ليلة

القدر. و﴿أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تعني أكثر من ثمانين عاماً، حقاً ما أعظم هذه الليلة التي تساوي قيمتها عمراً طويلاً مباركاً.

٤- ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿تَنْزَلُ﴾: فعل مضارع يدلُّ على الاستمرار، (والأصل تنزل)، ممَّا يدل على أنَّ ليلة القدر لم تكن خاصةً بزمن النبيِّ الأكرم ﷺ، وبنزول القرآن، بل هي ليلة تتكرر في كلِّ عام باستمرار. أما كيف تنزل الملائكة والروح فهذا من علم الغيب، وإنَّما نؤمن به على إجماله وندع التفاصيل لله علام الغيوب.

٥- ﴿مَنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: لكل تقدير وتعيين للمصائر، ولكل خير وبركة من آجال وأرزاق.

٦- ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ العناية والعطف الإلهي الخاص في هذه الليلة بالعباد، إذ يحوي السلامة والرحمة وغلق أبواب النعمة والعذاب، فإذا طلع الفجر انتهى تنزل الملائكة ويتم الأمر.

١. انظر: تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي: ج ٥ ص ٧١٠.

إضاءات تفسيرية

١- بناءً على نظر المفسرين الموافق للروايات فقد نزل القرآن مرتين، في المرة الأولى نزل دفعة واحدة في ليلة القدر والسورة المباركة تشير إلى ذلك، وفي المرة الثانية نزل بصورة تدريجية على مدى ثلاث وعشرين سنة!^١

٢- عبّر القرآن عن نزول القرآن مرّة بكلمة (أنزلنا) ومرة بكلمة (نزلنا)، والفرق بين الإنزال والتنزيل هو أنّ الإنزال يكون دفعياً والتنزيل يكون تدريجياً، فقوله تعالى مثلاً: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. فلأنّ التوراة أنزل في الألواح على نبي الله موسى ﷺ دفعة واحدة وكذلك الإنجيل، لذلك ناسب التعبير بالفعل الماضي غير المشدّد الوسط (أنزل)^٢.

٣- سمّيت ليلة القدر بهذا الاسم لجلالتها وعلو مقامها ولشرف ما يجري فيها، فعن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «هي ليلة قدّرت فيها السماوات والأرض وقدّرت ولاية أمير المؤمنين ﷺ فيها»^٣. وقيل لأنه تقدّر فيها أمور الكون والعباد، لذا روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: قال لي

١. انظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج ١٨ ص ١٣٠.

٢. انظر: تفسير الصراط المستقيم، البروجدي: ج ٢ ص ١٣٥.

٣. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٩٤ ص ١٨.

رسول الله ﷺ: «يا علي، أتدري ما معنى ليلة القدر؟ فقلت: لا يا رسول الله. فقال ﷺ: إن الله تبارك وتعالى قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكان فيما قدّرت ولايتك وولاية الأئمة من ولدك إلى يوم القيامة»^١. وفي بحار الأنوار عن تفسير فرات الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال: «إن فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوة لنبّي حتى أقرّ بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»^٢.

٤- ليست العبرة بطول الأعمار إنّما بحسن الأعمال، فليس المهم أن تمتد الحياة ولكن المهم أن تمتلئ، وربّ لحظة واحدة هي في جوهرها خير من الحياة كلها، فليلة القدر تعادل اثنان وثمانون عاماً.

٥- إنّ الله تعالى كان بإمكانه أن يمنّ علينا بتعيين ليلة القدر في ليلة واحدة، ليريحنا من هذا التحير في كلّ عام، ولكنه أخفاها - بحكمته البالغة - بعثاً للعباد على الاجتهاد والعمل في أكثر من ليلة، وقلوبهم بين الخوف من تفويتها والرجاء بإدراكها.

١. بحار الأنوار، المجلسي: ج ٩٤ ص ١٨.

٢. المصدر نفسه.

٦- ما المقصود بـ (الروح) قيل: إنه جبرائيل الأمين، أو ملك آخر هو رئيس الملائكة وأعظمهم شأنًا. فقد روي أنّ الإمام الصادق عليه السلام سئل عن الروح وهل هو جبرائيل، قال: «جبرائيل من الملائكة، والروح أعظم من الملائكة، أليس أنّ الله عزّ وجلّ يقول: تنزل الملائكة والروح!».

سورة العلق

﴿قُرْأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِكَبِيرٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨)
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ
(١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ
اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ (١٦) فَلَئِنَّ نَازِلًا مِنْ رَبِّكَ لَمَنبَغِي (١٧) سَنَدُغُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ
وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾

إشارات تفسيرية

- ١- ﴿قُرْأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ يتلو القرآن ويقرأه لنفسه وللناس ويعلمهم مفاهيمه وأحكامه وكل ما فيه من سعادتهم في الدنيا والآخرة.
- ٢- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ العلق: في الأصل الالتصاق بشيء. وقد فسرت كلمة العلق بأكثر من معنى، فقيل: لزج ولاصق، وتعني أن آدم خلق

من طين. وقيل: بمعنى الدم الغليظ، وهذا المعنى هو المطروح عادة. وقيل أيضاً: أن العلق يعني (صاحب العلاقة)، وفيه إشارة إلى الروح الاجتماعية للإنسان!

٣- ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ قيل: إنَّ «اقرأ» في هذه الآية تأكيد لـ (اقرأ) في الآية السابقة، وقيل: إنها تختلف عن الآية الأولى، فالأولى قراءة النبي ﷺ لنفسه، وفي الثانية القراءة للناس، غير أن الرأي الأول أنسب. وهنا إشارة لكرم الله سبحانه، فهو الذي يفيض علينا بكرمه فهو أكرم من كل كرمٍ.

٤- ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ منة من الله تعالى يمتنُّها على عباده، فهذه الآلة الصامته تتحوَّل إلى مادة حيَّة نابضة، تنقل إلينا أخبار الأمم والشعوب والديانات السابقة وما فيها من تعاليم وتشريع وقيم، ولأهميَّة القلم يُقسم القرآن به وبما يفرزه، أي بآلة الكتابة وبمحصولها: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

٥- ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ عَلَّمَ الله الإنسان حيث جعل له السمع والبصر والفؤاد وجعله مؤهلاً لتلقِّي المعلومات والاستفادة منها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلم يا بني إنك أول ما خلقت جاهلاً ثم علّمت»^٣

١. انظر: تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٣٢٢.

٢. المصدر نفسه.

٣. نهج البلاغة: ج ٣ ص ٤٣.

- ٦- ﴿كَلَّا إِنَّ الْأَنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ تكشف لنا هذه الآية القناع عن النفوس المريضة التي تنقطع عن الله وتنساه وتعيش نوعاً من الغرور والاعتزاز بما تملك، وهو أعم من أن تكون ماتملكه صحّة كانت أو مالاً أو علماً أو جمالاً.
- ٧- ﴿أَنْ رَّءَاهُ اسْتَغْنَى﴾ هذه طبيعة أغلب أفراد البشر، فيتجاوز الحدود الشرعيّة بمجرد أن يرى من نفسه الغنى والاستغناء فينسى ربّه ويتجاوز حدوده، أمثال فرعون الذي كان يغترّ بسلطته؛ وبلعم بن باعورا الذي اغترّ بعلمه.
- ٨- ﴿إِنَّ إِلِيَّ رُبُّكَ الرَّجْعَى﴾ الرجعى: هو الرجوع، والظاهر من سياق الوعيد الآتي أنّه وعيد وتهديد بالموت والبعث قال تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾!
- ٩- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ استفهام وتوبيخ لذلك الشخص الذي لا يفعل الخير، وينهى عن فعله. فإنّه لم يكتف بطغيانه على الله في تركه للصلاة حتى أصبح ينهى سائر العباد إذا قاموا للصلاة.
- ١٠- ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ أخبرني أيها الكافر: إن كان ذلك المتعبّد لربّه على طريق الهدى فكيف يكون حالك وكيف يكون مصيرك ومصير ماتتفوّه به؟
- ١١- ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ أي: أرايت إن كان هذا العبد أمر بالتقوى فهل يصحّ نهيه؟ ألا يستحقّ من ينهاه النار؟

١٢- ﴿رَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ أخبرني يارسول الله: كيف حاله ومآله وما تنتهي إليه أموره أن كذب أبو جهل برسول الله، وبما أنزله الله من كتاب، وأعرض عن العمل بما أراد الله.

١٣- ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ تهديد ووعيد أن الله يرى أفعاله ويعلم تصرفاته، وسيحاسبه عليها ويجزيه بها.

١٤- ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ زجر وردع عما يقوم به، وأنه إذا لم يكف عن ذلك وينتهي عنه لناخذنه بناصيته بذل واستهانة.

١٥- ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ نسبة الكذب والخطأ إلى الناصية مجاز باعتبار علاقة الجزء بالكل، كما أن نسبة الإيمان إلى الرقبة كذلك هنا، والمراد أن صاحب الناصية كاذب في أقواله خاطئ في أعماله!

إضاءات تفسيرية

١- المشهور أن سورة العلق أول سورة نزلت على النبي محمد ﷺ، وقد نزلت في غار حراء، خصوصاً الآيات الخمس الأولى منها.

٢- هذه السورة من سور العزائم لاشتمالها على آية فيها سجدة واجبة.

١. انظر: تقريب القرآن إلى الأذهان: الشيرازي: ج ٥ ص ٧٠٧.

٢. انظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ج ٢٠ ص ٣٢٢.

- ٣- في بعض كتب التفسير والتاريخ كلام حول موقف الرسول الأكرم ﷺ بعد نزول هذه السورة لا تتناسب أبداً مع شخصيته العظيمة، وتستند إلى أحاديث مختلفة أو إلى إسرائيليات، من ذلك أن النبي ﷺ اغتم كثيراً لدى نزول الوحي عليه أول مرة، وخشي أن تكون إلقاءات شيطانية! ومن ذلك أنه ﷺ همّ مرّات أن يلقي بنفسه من أعلى الجبل! وأمثال هذه الخزعبلات^١
- ٣- تستعرض السورة حالة الإنسان الذي عطلّ قواه العقلية والإدراكية، حيث يتنكر لنعم الله تعالى ولا يؤدّي حق المنعم بمجرد أن يستغني.
- ٤- توجد نقطة كامنة وراء الأمر (اقرأ)؛ وهي أن ما ينزل عليك يجب قراءته ولا يكفي العلم به، لأنّ قراءة القرآن وسيلة للرشد.
- ٥- إنّ منشأ الطغيان أمران، أحدهما: اعتقاد الإنسان بأنّه غني، والثاني: أنّه لا يرى الله ويظن بأنّ الله لا يراه ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾.
- ٦- بدأت دعوة النبي ﷺ باسم الله وذكره: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، واستمرت حياة الرسول ﷺ مقرونة في كلّ حال بذكر الله.
- ٧- لا تغتر أيّها الطاغية بقوّتك وملكك وغناك، فإنّ مصيرك إلى الله، وهو الكفيل بمحاسبتك وإنزال عقابه فيك بما يتناسب مع الجريمة التي اقترفتها.

١. انظر: تفسير الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي: ج ٢٠ ص ٢٢٠.

٨- حين يؤمن الإنسان بأنه بين يدي الله، في كلّ حركاته وسكناته لا يخفى عليه شيء من عمل الفرد بل من نواياه فإنّ ذلك سيؤثر على منهج هذا الإنسان في الحياة تأثيراً بالغاً.

٩- لا يعبد الطاغي الله ولا يعترف بالقوانين الإلهية، ولا يقبل الاستدلال ولا يسمع نداء الضمير.

١٠- لقد وردت بعض الروايات الصحيحة بأنّ السّورة - عدا المقطع الأوّل منها - قد نزلت في أبي جهل، إذ مرّ برسول الله ﷺ وهو يصلي عند المقام فقال: «يا محمّد ألم أنك عن هذا؟ وتوعّده فاغظ له رسول الله وانتهره...»^١ ولعلها هي التي أخذ فيها رسول الله بخناقه وقال له: «(أولى لك ثمّ أولى) فقال: يا محمّد بأي شيء تهددني؟ أما والله وإنّي لأكثر هذا الوادي نادياً»^٢

١١- يجب على الشخص الذي يأمر بالتقوى أن يكون هو نفسه من المهتمدين.

١٢- التوبيخ والتهديد وإن كان متوجّهاً لخصوص من نهى النبي ﷺ عن الصلاة، بقرينة ما في ختام السورة من الأمر له ﷺ بعدم الطاعة لعدوّه

١. بحار الأنوار، المجلسي: ج ١٨ ص ٢٠١.

٢. المصدر نفسه.

والسجود والاقتراب لمولاه، إلا أنه يُفهم منه - ملاكاً - أن معادة المؤمن لإيمانه - وخصوصاً من أجل إتيانه لصلاته - لمن موجبات الغضب الإلهي.

١٣- وردت في الروايات الصحيحة أن هناك أربع سور يجب السجود فيها، وهي المسماة بسور العزائم وهي: سورة (ألم) السجدة، وسورة فصلت، وسورة النجم، وسورة العلق. وإنما سميت بالعزائم لأن سجدة التلاوة فيها واجبة وعزيمة، فإذا قرأت آية السجدة من هذه السور الأربع وجب السجود عند قراءتها أو سماعها. ولا يجوز للحائض والجنب قراءة آيات السجدة من هذه السور؛ بل قال بعض الفقهاء بعدم جواز قراءة أي آية من هذه السور^٢.

والحمد لله رب العالمين



١. انظر: كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد السيوري: ج ١ ص ١٩٧.

٢. انظر: مدارك العروة، الحائري: ج ٣ ص ٢٥٤.